الفصل الخامس

علاقة رسالة النبي ﷺ بالرسالات السابقة منذ آدم عليه السلام

توطئـــة

الشائع اليوم بين الشعوب الغربية هو تكذيب محمد ﷺ، هذا ما قلته غير مرة.

والأسباب عديدة. وفي الأعماق نجد ذكريات الحروب الصليبية، التي يدرسها الغربيون في مدارسهم بصورة غير صحيحة تدين المسلمين وترسمهم في أبشع الأشكال.

ومعلوم أن الدولة المسلمة الأولى كانت قد اشتركت في حروب ضد الدولة الرومانية وطردتها من الشام ومصر وشمال أفريقية، ثم استولت على شبه جزيرة أيبيريا وأقامت دولة الأندلس لمدة ٨٠٠ عام، وابتداءً من أواخر القرن ١٨ احتل الغربيون البلاد المسلمة الواحدة تلو الأخرى، واستعمروها حوالي قرنين من الزمان.

وبسبب الاختلاط الكثيف بين المسلمين والغربيين، ازدهرت الهجرة إلى أوروبا وأمريكا، وتكونت جاليات مسلمة كبيرة في كل دولة غربية.

وقد حافظ المسلمون المهاجرون على دينهم، وشرعوا في الدعوة إليه، فاستجاب لهم عدد كبير من أبناء البلاد، وفيهم بعض أفراد من النخبة المثقفة، وانزعج كثير من الغربيين بسبب ذلك.

لهذا كله نشطت الحملات التربوية والإعلامية ضد الإسلام ونبي الإسلام، الذي وصفوه بالكذب وادعاء النبوة وسرقة أفكاره من التوراة والإنجيل.

obeikandl.com

وأية دراسة مقارنة لاكتشاف صلة رسالة النبي ﷺ بالرسالات السابقة عليها، والبت في تلك الاتهامات، تحتاج إلى معرفة الكتب السماوية التي آمن بها أصحاب الديانات السابقة، ثم مقارنتها بالقرآن، غير أن كتب الديانات السماوية السابقة لم يبق منها سوى التوراة والأناجيل، وهنا تقابلنا صعوبة كبيرة هي: وقوع التحريف فيها، باعتراف كبار العلماء المسيحيين واليهود(١).

فلا مفر من الرجوع إلى القرآن الذي نجا من التحريف، وإلى الاحتكام لعقيدة التوحيد التي جاءت بها الأديان السماوية الثلاثة، فإذا قالت التوراة إن الله هو إله اليهود وحدهم ، وإذا قالت إنه لا بعث بعد الموت، وجب علينا أن نرفض قولها، وإذا قال الإنجيل إن المسيح ابن الله، أو هو الله، كان علينا أن نكذب ذلك وأن نؤكد عقيدة التوحيد، وعقيدة نبوة المسيح عليه السلام، وهذا هو ما تصنعه فئات واسعة من الغربيين المعاصرين أنفسهم.

ولسوف نرى فيما يلي من هذه الدراسة، فضلا عما مضى منها أن الرسالة المحمدية تتفق مع اليهودية والمسيحية في اعتناق التوحيد، لكنها ترفض الانحرافات التي أصابت التوراة والإنجيل، ولهذا قال المسلمون إن القرآن تضمن تصديق جميع ما أنزل قبله، لأن الأحكام التي فيه: إما مقررة لما سبق، وإما ناسخة، وإما مجددة.

* * *

(١) راجع: أحمد عبد الوهاب؛ المسيح في مصادر الديانة المسيحية؛ ص ٢٠ .

obeikandl.com

أولا : فـــى العقائـــد

عقيدة لا إله إلا الله عند جميع الأنبياء

عقيدة التوحيد الإسلامية التي تمثل جوهر الرسالة المحمدية هي نفسها عقيدة الأنبياء السابقين من آدم إلى عيسى عليهم السلام. هذا هو ما يؤكده القرآن بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩] ويقول: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥]

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٧٣]

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٨٥]

وقال موسى لقومه: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠]

obeikandi.com

وقال القرآن لمحمد: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

التوحيد في اليهودية

وتقول التوراة: "ثم نطق الله بجميع هذه الأقوال: "**أنا هو الربُّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر - ديار عبوديتك، لا يكن لك آلهة أخرى سواي. لا تنحت لك تمثالا** ولا تصنع صورةً ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت، وما في الماء من أسفل الأرض، ولا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور"[١].

التوحيد في المسيحية

ولقد سأل أحد الكتبة المسيح قائلاً: " أيَّةُ وصيةٍ هي أول الكل؟"

فأجابه يسوع: "إن أول كل الوصايا هي: اسْمَع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى [٢].

فهذا هو التوحيد الذي يوحد بين الأديان السماوية الثلاثة والذي يلقى التأييد من العقل البشري.

غير أن عقيدة أن "المسيح ابن الله" تعكر عليه. عقيدة التوحيد في الإنجيل تقارب بين المسيحية والإسلام، لكن عقيدة نبوة المسيح عند المسلمين تباعد بينهما. فالإسلام يؤكد التوحيد الذي جاء به الأنبياء السابقون جميعا، وبينهم عيسى، عليهم السلام، ويرفض الانحرافات التي لحقت به.

وقد بذل المسيحيون جهدا كبيرا لإثبات أن "الثلاثة واحد"!: "الآب والابن

---

(١) الخروج؛ ٢٠ (١ - ٥) ص ٩٨.

(٢) إنجيل مرقس؛ ١٣/ ٢٨ - ٣٠؛ وراجع: أحمد عبد الوهاب؛ المسيح في مصادر العقائد المسيحية؛ ص ٣١١ - ٣١٩.

والروح القدس"، لكنهم لم يفلحوا في إقناع الجماهير بذلك في عصر العلم، والمنهج العلمي الرصين، ولم تتمكن المعجزات التي أوردتها الأناجيل من إقناع المسيحيين بالتثليث، فكفر كثير منهم بالمسيحية، وسقط كثير منهم في مستنقع الإلحاد والمادية، وانتقل بعضهم إلى الإسلام أو إلى ديانات أخرى.

وفي إنجيل يوحنا يؤنب المسيحُ اليهودَ فيقول: "كيف تقْدِرون أن تؤمنوا **وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه**[1].

العقيدة المسيحية المحرفة: المسيح ابن الله أو هو "الله" نفسه!

ويجيء التحريف فيقول مرقس: "المسيح ابن الله" [2] يقول النص: "بَدْءُ إنجيل يسوع: المسيح ابن الله."

وقال صوت من السماوات. **أنت ابني الحبيب** الذي به سررتُ [3].

"والأرواح النجسة حينما نظرته خرَّتْ له وصرختْ قائلةً: **إنك أنت ابن الله**"[4].

وقال له إنسان به روح نجس (يشبه المجنون): "فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له. وصرخ بصوت عظيم وقال **مالي ولك يا يسوع ابن الله العلِّي**"[5] ولم يعترض يسوع على وصفه بأنه ابن الله، هذا على فرض أن إنجيل مرقس يصوِّر ما حدث تصويراً صحيحاً، وليس مجرد روايات لا علم للمسيح بها.

ويقول مرقس إن المسيح ظهر بعد صلبه ودفنه للاثنا عشر: "**ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله**"[6].

ومن الجلي أن هذه العقيدة تتناقض مع التوحيد الإسلامي الذي يؤكد أن ليس لله ولد.

ويقول الله تعالى ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن**

---

(١) إنجيل يوحنا؛ ٥/٤٤.

(٢) إنجيل مرقس؛ ١/١ - والعقيدة نفسها في إنجيل يوحنا؛ ١/٣٥، ٢/١١، ٣/٣٨، ٨/٢٨، ٩/٣٥.

(٣) نفسه؛ ١/١١. (٤) نفسه؛ ٣/١١. (٥) نفسه؛ ٤، ٥، ٦.

(٦) إنجيل مرقس؛ ١/١ - والعقيدة نفسها في إنجيل يوحنا؛ ٩٤/١٩

لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فهذه السورة (سورة الإخلاص) **تنفي أن يكون عيسى عليه السلام ابن الله أو الله نفسه!** بل إن هذه العقيدة تتناقض مع توكيد المسيح أن "**الرب إلهنا رب واحد**".

هل ادَّعى عيسى الألوهية؟

وفي إنجيل يوحنا يوصف المسيح أنه الله، وابن الله[1] وكان اليهود يريدون قتل المسيح: "لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً **إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله**"[2] **ولأنه جعل نفسه إلهاً**، وقالوا: "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. **فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً**"[3].

ورد عليهم المسيح قائلاً: "**فالذي قدسه الآب وأرسله** إلى العالم، أتقولون له إنك تجدف؟ لأني قلت إني ابن الله؟" [4].

وقال رؤساء الكهنة اليهود "لبيلاطس" الحاكم الروماني "لنا ناموس، وحَسَبَ ناموسنا يجب أن يموت، **لأنه جعل نفسه ابنَ الله**"[5].

فها هنا كما في إنجيل مرقس يقول المسيح إنه ابن الله واليهود يريدون قتله تطبيقًا لشريعة موسى التي تحرم ادعاء الألوهية كما تحرم ادعاء البنوة لله.

ومن الجلي أن عقيدة التوحيد لدى اليهود هي العقيدة الصائبة، وأنهم كانوا على حق في غضبهم على المسيح، إذا كان حقًّا قد ادعى الألوهية أو البنوة لله. **لكن القرآن الكريم يؤكد أنه عليه السلام لم يدَّع شيئا من تلك العقائد الفاسدة المحرفة.**

يقول الله تعالى **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**

[المائدة: ١١٦، ١١٧]

---

(١) إنجيل يوحنا؛ ١/١؛ ١/٣
(٢) نفسه؛ ٥/١٨
(٣) إنجيل يوحنا؛ ١٠/٣٣
(٤، ٥) نفسه؛ ١٩/٧

ففي حكم الإسلام، المسيح عليه السلام برىء من تلك التهمة الشنيعة، أعني ادعاء الألوهية أو البنوة لله تعالى، وأنه دعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، وأن الله وحده يعلم ماذا صنع القوم بعد أن توفاه الله.

ولقد نُسب إلى المسيح عليه السلام أنه كان يقدر على غفران الخطايا، وكان اليهود يعترضون عليه ويقولون: "مَنْ يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده"(١).

أنسنة الإله: عقيدة باطلة

وهذه مسألة خلافية جذرية. فالتوراة تقول إن: "الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، لهذا بارك الله يوم السبت وجعله مقدسا"(٢) وهذا تشبيه يضفي صورة الإنسان على الله تعالى، وهو يتعارض مع كمال التوحيد المنزه عن الشريك والمثيل، والإسلام يرفض هذه الأنسنة رفضا باتاً، وتبعاً لذلك لا يقول الإسلام بقداسة يوم السبت، ولا يمنع من العمل به، ولا يحرم العمل في أي يوم آخر من أيام الأسبوع، بما في ذلك يوم الجمعة، الصلاة فقط هي التي يجب أن تؤدى وأن يتوقف العمل مؤقتاً حتى تتم، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

التجسيد عند اليهود والمسيحيين

قلت غير مرة إن التوحيد عقيدة الرسالات السماوية كلها. لكن كثيراً من الانحرافات تسرب إلى كتبها، وأحالها إلى ديانات منافية للتوحيد المنزه.

ففي التوراة جاء قولهم: "طريق الرب في الزوبعة والعاصفة، والغبار غمام قدميه."(٣) وهذا تجسيد لا يليق بجلال الله تعالى الذي يقول عنه القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي المسيحية يتجسد الله في شخص المسيح، **فيدعون المسيح إلهاً!** وهذا شرك لا يتفق مطلقاً مع التوحيد المنزه، ويباعد بين الرسالة المحمدية والديانة المسيحية المعروفة.

---

(١) إنجيل مرقس؛ ٢/ ٧.

(٢) الخروج؛ ٢٠ - (١١) - ص ٩٨.

(٣) كتاب ناحوم - ١

ومن أسوأ أخطاء اليهود تصورهم لله تعالى على أنه إلههم وحدهم! فليس الله إلهاً لجميع خلقه! **بل هو إله قومي لليهود دون سائر خلق الله!**

وتقول التوراة " **وإله إسرائيل هو الأب "أشعيا"**[١] .

وعلى الرغم من هذا زعم "جولد تسيهر" أن التوحيد الإسلامي منقول عن اليهودية![٢] وهذا افتراء وبهتان لا سند له.

والحق أن التوحيد هو عقيدة جميع الأنبياء ولكن اليهود والنصارى شوهوه بعناصر وثنية، وقد أسقطوا عدداً من الأناجيل التي لم تعجب الرومان الوثنيين[٣] وجاء القرآن بصيغته الحقة النقية من شوائب الشرك والتجسيد والتثليث.

ويقول مراد هوفمان: "إن هذا هو الإنجاز النهائي للإسلام الذي يمثل إسهاماً هائلاً في التطور الروحي للبشرية ... وهو ما جعل محمداً خاتم الأنبياء أجمعين"[٤].

التوراة: "لا حياة بعد الموت"

ومن الانحرافات الشنيعة جداً قول التوراة إنه: "لا حياة بعد الموت" فهي تقول: "أما الإنسان فإنه يموت ويبلى، يلفظ آخر أنفاسه، فأين هو؟ كما تنفد المياه من البحيرة، ويجف النهر، هكذا يرقد الإنسان ولا يقوم ولا يستيقظ من نومه إلى أن تزول السماوات"[٥].

هذه العقيدة تباعد بين اليهودية والإسلام، وتعتبر فرقاً هائلا يقطع خيوط الاتصال بين الديانتين، فالإيمان بالبعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار ركن كبير في العقيدة الإسلامية، وبدونه يصعب اعتبار الديانة ديانة حقيقية، فهذه اليهودية ليست الديانة التي بعث بها موسى عليه السلام، والتي تتحد مع الإسلام في عقيدة البعث والحياة الآخرة.

إن الإيمان بالبعث والحساب والجزاء في الآخرة عقيدة أساسية في الإسلام؛ وقد

---

(١) أصحاح (١٦، ٧٣)، وإجماع (٦٤، ٧)
(٢) الدكتور بدوى؛ دفاع عن القرآن ضد منتقديه؛ ص ٧٣ .
(٣) أحمد عبد الوهاب؛ المسيح في مصلحة العقائد المسيحية؛ ص ٢٠ ، ٢٤ .
(٤) يوميات ألماني مسلم؛ ص ٧١ .
(٥) أيوب؛ ٧ - ١٢ .

توعد القرآن الكريم المكذبين بالآخرة فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١٠-١٢] وفي القرآن آيات عديدات تؤكد وجوب هذه العقيدة العظيمة، ابتداءً من الآية الرابعة من سورة البقرة التي تصف المؤمنين، وتقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

جزاء صبر أيوب دنيوى فقط

وبناء على نفى الحياة الآخرة، لا بد أن يكون الثواب والعقاب فى الدنيا فقط. ففى قصة أيوب عليه السلام فى التوراة أن الله «بارك آخرة أيوب أكثر من أولاه فأصبح له أربعة عشر ألف خروف وستة آلاف من الإبل..» (١).

أما فى القرآن الكريم فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ولأول وهلة ربما يظن الباحث أن ثواب أيوب على صبره العظيم على ألوان البلاء هو ثواب دنيوى بحت فى القرآن كما فى التوراة.. وهذا خطأ جسيم.. لأن الآيات فى هذه السورة الكريمة ذكرت عدداً من الأنبياء قبل ذكر أيوب وعدداً آخر بعد ذكره، ثم عقبت على ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ومعناها - والله أعلم - أن الذين كتبت لهم الجنة سوف يبعدهم الله تعالى عن جهنم ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] وهذا النعيم فى الآخرة. فجزاء أيوب دنيوى وأخروى، ومن المستحيل أن يكون حكم ثوابه مختلفاً عن حكم ثواب الله تعالى للعباد جميعاً.

---

(١) أيوب -- ٢ (١٢) - ص ٦٩٣.

ثانيا : الإيمان بالأنبيـــاء

الأنبياء السابقون في القرآن الكريم

ولقد جاء الكثير عن الأنبياء السابقين وعن عقائدهم في القرآن الكريم، وأخذت بعض سور القرآن أسماءَهم: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح عليهم السلام، ومعظم سورة القصص وصف لنبي الله موسى منذ أن ولد، وشغلت قصة ميلاد المسيح عشرين آية من سورة مريم، وتحدثت ١٥ آية في أول السورة عن زكريا، وذكر إبراهيم وجهاده في قومه في ٢٢ آية من سورة الأنبياء (٥١ – ٧٣) هذا فضلا عما جاء عنه في سورة إبراهيم، وجاء ذكر لوط في هذه السورة نفسها (٧٤ – ٧٥) وذكر نوح وداوود وسليمان، ثم أيوب وإسماعيل وإدريس وذى الكفل، وذى النون وزكريا.

ويعطي القرآن الكريم صورة جليلة كريمة وقورة لكل الأنبياء، ويتوسع في ذكر جهاد بعضهم دون بعض، وحين قيل للنبي ﷺ "يا خير البرية!" قال: "ذاك إبراهيم عليه السلام"(١) فهذا يبين التقدير العظيم للأنبياء السابقين على الرسالة المحمدية.

وَيَسْرُدُ القرآن الكريم بعض أحداث الجهاد التي خاضها الأنبياء في سبيل الدعوة إلى الله الواحد الأحد، لكنه نادراً ما يذكر شيئًا عن شرائعهم وأخلاقياتهم، ولهذا يستطيع الباحث أن يبين صلة عقائدهم بعقائد الإسلام، من الثبات على الإيمان بالله الواحد الأحد، ونبذ الشرك والوثنية، لكنه لا يستطيعُ أن يبين صلة العبادات والمعاملات ومدى اتفاقها أو اختلافها؛ لأن الإسلام نسخ معظمها(٢).

---

(١) مسلم؛ ١٥ / ١٢١

(2) Abol A'ALA Maududi; Towards Understanding Islam; Islamic Teaching Center; Indiana; 1977, p 108

obeikandl.com

ولو نظرنا في سورة نوح لوجدنا هذه الحقيقة واضحة، فهو يدعوهم إلى عبادة الله، ويحذرهم من عواقب العصيان، ويتفنن في أساليب الدعوة، ويستلفت أنظارهم إلى آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، فلا يستجيبون له! فيسأل الله تعالى أن يقضي عليهم، لكننا لا نجد للعبادات والشرائع أي ذِكْر فيها.

والنتيجة نفسها تبرز أمامنا بعد دراسة ما جاء عن إبراهيم أبي الأنبياء ﷺ، ففي سورة البقرة يأتي لقاؤه مع ذلك الطاغية الذي حاجه في ربه، في آية واحدة (رقم ٢٥٨) وفي سورة إبراهيم يقابلنا توسله الخاشع الذي يسأل فيه ربه الأمن لمكة ولأبنائه، كما يسأله حمايتهم من الأصنام، ويلتمس منه أن يرزقهم ثم يحمد الله الذي وهب له على الكبر إسماعيل وإسحاق (الآيات – ٣٥ – ٤١).

وفي سورة الأنبياء ترد بعض تفاصيل دعوة إبراهيم لأبيه وقومه ليعبدوا الله رب السماوات والأرض، ويَدَعُوا عبادة التماثيل التي كانوا لها عاكفين، وكيف حطم أصنامهم وكيف أوقدوا له ناراً ليحرقوه ﷺ ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وتجيء قصة يوسف مع أبيه وإخوته، وكيدهم له، ونجاته والتحاقه بملك مصر، واستضافة أهله فيها، وتحقيق حلم يوسف عليه السلام، وتكون عقيدة التوحيد بارزة واضحة في تفاصيل القصة في آيات عديدة من السورة، وتشرق صورة يعقوب ويوسف بأنوار النبوة وأخلاقياتها السامية، في صبر يعقوب وإيمانه بالله وثقته فيه، وفي حكمة يوسف وحلمه وعفوه عن إخوته في نهاية المطاف، ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف: ٩٢]

وعلى النقيض من هذا قام المنصرون المسيحيون بحملة شاملة لإبراز التناقض بين محمد والمسيح "في نضالهم المرير ضد للإسلام"(١).

---

(١) هاملتون جيب؛ دعوة تجديد الإسلام؛ ص ٩٥.

obeikandl.com

ويقول ابن حزم: "إن جميع النبيين، وعيسى ومحمداً عليهم السلام عباد لله تعالى، مخلوقون، ناس كسائر الناس مولودون من ذكر وأنثى، إلا آدم وعيسى، فإن آدم خلقه الله تعالى من تراب بيده، (ونفخ فيه من روحه) لا من ذكر ولا من أنثى، وعيسى خلق في بطن أمه من غير ذَكر" (١).

والأنبياء كثيرون، ذكر الله تعالى أسماء بعضهم في القرآن، ولم يذكر أسماء البعض، قال تعالى: ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ [النساء: ١٦٤].

والإسلام ينظر إليهم نظرة حب وإكبار ولا يقبل أن تُنسب إليهم الكبائر بأي حال من الأحوال.

الإيمان بجميع الأنبياء

ويوجب القرآن الكريم علىّ المسلم الإيمان بالقرآن، وما أُنزل على جميع النبيين، فيقول عز وجل: ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٨٤] ونهى ﷺ عن تفضيله على يونس ابن متى(٢).

لكن هذا لا يعني الإيمان بالصيغة المتداولة للكتب التي يقال إنها أُنزلت على الأنبياء، والتوراة والإنجيل هما أهم الكتب المتداولة، لكن القرآن الكريم يقرر أن الصيغ التي بيد اليهود والنصارى هذه الأيام، وفي عصر النبوة المحمدية، ليست هي الصيغ الصحيحة التي آتاها الله تعالى لموسى وعيسى، لأنهم حذفوا منها وأضافوا بأيديهم. قال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٧٩] وقد اعترفوا مؤخراً بهذه الحقيقة.

---

(١) المحلى، ١/ ١٠.

(٢) البخاري؛ ٣٠/ ١٢٨.

obeikandl.com

وعلى هذا قال بوكاى: إن التوراة المنزلة من عند الله لم يعد لها وجود[١].

والأناجيل الأربعة المعروفة لم تكتب إلا بعد فترة طويلة من عهد المسيح عليه السلام، كانت حافلة بالاضطهاد لتلاميذه، وكانت قد كتبت أناجيل كثيرة، لكن هذه الأربعة اختيرت لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات [٢] وبهذه الأناجيل زيفت المسيحية التي كانت دين توحيد سماوي وأصبحت ديانة تثليث وتجسيد تناقض دين التوحيد [٣].

فما أنزل على الأنبياء شيء آخر غير متداول الآن، والإسلام - لهذا - لا يقبل من الكتب المتداولة إلا ما يتفق مع القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ الصحيحة.

ولقد صَوَّبَت رسالة محمد ﷺ ما جاء في الرسالات السابقة، وخصوصاً اليهودية والمسيحية، وما ورثته الأمم الأخرى أيضاً:

أكدت الرسالة المحمدية **عقيدة التوحيد المنزه** عن الشريك والمثيل.

وأرست المسئولية الفردية على العقل، ولم تجز محاكمة الحيوان التي شرعتها التوراة وقال النبي ﷺ: "جناية العجماء جُبار".

ونبذت الرسالة المحمدية كل مظاهر العنصرية التي كانت - ولا زالت - مستحكمة بين اليهود، وبين النصارى إلى حد ما.

ورفضت الرسالة المحمدية **مبدأ الإدانة الشاملة للجنس البشري** "الخطيئة الأولى" - التي تبنتها المسيحية ولا تزال، وأكدت المسؤولية الفردية.

---

(١) موريس بوكاي؛ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم؛ ص ١٧ - ٢٢.

(٢) عباس محمود العقاد؛ حياة المسيح؛ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية؛ ص ٤٣ وما بعدها. والدكتور عبد الحليم محمود؛ الفكر الفلسفي في الإسلام؛ دار الكتاب اللبناني ط ١٠ سنة ١٩٧٤؛ ص ٨٣.

وفي التشريع رفضت الرسالة المحمدية **تقرير الرق عقوبة للسرقة**. وهو ما كان مطبقا في الشرائع السابقة، وبهذا أغلقت بابًا واسعًا لتفريخ الرقيق.

وهذه المبادئ المرفوضة هي من التحريفات، لأنها تخالف التوحيد والعقل والعدل.

وأكد النبي ﷺ أن رسالته هي رسالة من سبقه من الأنبياء، وأنهم جميعا أرسلوا بالحنيفية السمحة التي هي الإسلام دين التوحيد المنزه عن الشريك والمثيل ورسالة محمد ﷺ تتبع أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام. والله تعالى يقول **﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: ٦٨] وقد قال رسول الله ﷺ: "بُعثت بالحنيفية السمحة"(١). ولم يقل إن رسالتي جديدة، ولم آخذ عمن سبقني!

مكانة الأنبياء: قصة داوود عليه السلام

والرسالة المحمدية توجب الإيمان بكل الأنبياء السابقين وتجلهم، ومن الطبيعي أن يكون النبي – أي نبي – قُدْوة حسنة للمؤمنين، وهذا هو ما يؤكده القرآن الكريم. لكن التوراة المتداولة تستبيح أعراض بعض أنبياء الله، وتنسب إليهم الأعمال الشائنة والخسيسة.

فالنبي داوود يُنسب إليه في التوراة أنه **تآمر على جندي من رجاله حتى قُتل في الحرب لكي يتاح له الزواج من أرملته. وهذه كبيرة من الكبائر** (٢) وهي قصة غير معقولة لأن داوود عليه السلام كان عنده ٣٠٠زوجة و ٧٠٠ جارية.

أما في الرسالة المحمدية فالقصة في سورة "ص" تقول **﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ**

---

(١) البخاري؛ إيمان – ٣٩.

(٢) صموئيل الثاني؛ ١١ – ١/٢٦.

﴿ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ... ﴾ [ص: ٢١، ٢٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: "أحب الصيام إلى الله صيام داوود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وأحب الصلاة إلى الله صلاة داوود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه"(١).

ولأنه لا تجوز الكبائر على الأنبياء في شريعة الإسلام فقد فسر المفسرون القصة على أن داوود خطب امرأة مخطوبة ولم يكن يعرف، فرجع عن الخطبة؛ فيقول القرآن ﴿ ... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥] (٢).

وخطبة المسلم على خطبة أخيه المسلم محرمة (٣) وقد كانت كذلك في شريعة داوود.

فالقصة من تأليف مؤلف أو مؤرخ يهودي، وليست تنزيلاً من السماء؛ هذا في التوراة، أما في القرآن فهي وحي من عند الله، ومن ثم وجب على الباحث المنصف قبول الوحي، ورد القصة البشرية.

لوط يضاجع ابنتيه!!

وتنسب التوراة إلى لوط عليه السلام كبيرة من أعظم الكبائر، ألا وهي مضاجعة ابنتيه! وتقول القصة إن الابنة البكر قالت لأختها الصغرى: "إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض حولنا رجل يتزوجنا كعادة كل الناس، فتعالي نُسْقِه خمرًا ونضطجع معه فلا تنقطع ذرية أبينا". وقد نفذتا الخطة ووضعت كل واحدة ولدًا (٤).

---

(١) فتح الباري؛ كتاب أحاديث الأنبياء؛ باب ٣٨ - رقم ٣٤٢٠ - ٦ / ٤٥٥.
(٢) القرطبي؛ الجامع؛ تفسير الآيات؛ ط الشعب؛ ص ٥٦٢١.
(٣) راجع: مسلم؛ ٩ / ١٩٧.
(٤) التكوين؛ خطيئة ابنتي لوط؛ ص ١٩ - ٣٨.

obeikandl.com

والقصة بادية الكذب، وهي غير ممكنة، لأنها تصور لوطًا عليه السلام كدمية من المطاط لا وَعْي لها ولا إرادة! فهو يشرب الخمر، ويضاجع ابنته البكر في ليلة والابنة الثانية في اليوم التالي، دون أن يشعر أو يفيق! وكيف يمارس الرجل الجنس دون أدنى إحساس بما يفعل؟! وواضع القصة الزائفة يريد أن يبرئ لوطًا من الإثم ويحمله للبنتين، فصوَّره كدمية لا عقل لها ولا إحساس!

وهكذا نجد قصة لوط مجرد فصل بغيض في التوراة الزائفة التي كتبوها بأيديهم وقالوا إنها من عند الله، كما قال الله تعالى ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ....** ﴾ [آل عمران: ٧٨].

نوح يصنع الخمر ويشربه ويسْكَر!

والعقيدة الإسلامية تخالف ما جاء عن نبي الله نوح عليه السلام في التوراة تلك التي تقول: "واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرمًا، وشرب من الخمر، فَسَكِرَ وتعرَّى داخل خيمته. فشاهد "حام" أبو الكنعانيين عُرْي أبيه..."[١] ففي الإسلام الأنبياء معصومون من مثل هذه الكبائر.

إن الأنبياء في حكم الإسلام معصومون من كل كبيرة؛ ويستحيل أن يقترف نبي الله الكبائر ثم يدعو الناس إلى طاعته! فالعقل نفسه يوجب عصمة الأنبياء من الكبائر: "وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزْري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته"[٢].

---

(١) التكوين؛ أصحاح ٩ من رقم ٢٠ إلى ٢٥.
(٢) صحيح مسلم؛ ٣ / ٥٣ ، ٥٤.

obeikandl.com

موقف اليهود من المسيح والمسيحيين!

والمفروض أن المسيحية امتداد لليهودية، والمسيح كان يهودي الجنسية، ورسالته موجهة لليهود، والرواد من أنصاره وأتباعه كانوا يهوداً، وعقيدة التوحيد هي هي في الديانتين، وقد أعلن المسيح أنه لم يأت لإبطال الشريعة الموسوية، وإنما لإكمالها، لكنه غَيَّر بعض الشرائع فقط، فهل هذا يسوِّغ الحملة الرهيبة المتصلة على المسيح والمسيحية والمسيحيين كما نراها في التلمود؟!

فالتلمود يوجب **مَحْو اسم يسوع المسيح**، ويشير إليه بألفاظ مهينة مثل: ذاك الرجل! ونجار ابن نجار! ويقول إنه ابن غير شرعي، شرير، مجنون، ساحر، وثن! وتعاليم المسيح في التلمود: هرطقة وكذب! والمسيحية: ديانة غريبة، وثنية! والمسيحيون: وثنيون قتلة زناة نجسون، أبناء الشيطان! ويشدد على العداء للمسيحيين إلى درجة **اعتبار قتلهم أضحية مقبولة عند الله!** [1] ويحرم مساعدتهم في أي ظرف مهما كان الباعث!

وعلى هذا يمكن القول إنه **لا علاقة بين اليهودية والمسيحية**، بل رفض صارم وعداء مرير من جانب اليهود.

لكن المسيحيين يعتبرون دينهم امتداداً لليهودية، وهم يؤمنون بالتوراة ويأخذون بشريعتها، لأن الأناجيل لم تأت بشريعة بديلة، إلا في مسائل معدودة.

غير أن السياسة المعاصرة تناست كل ذلك، واعتذر المسيحيون لليهود، ولم يعتذر اليهود للمسيحيين! ووقف العالم المسيحي كله مع إسرائيل ضد العرب، وساعدوها بالرجال والمال والسلاح لطرد العرب من ديارهم واحتلالها عنوة، وَجَلْب اليهود من أقاصي الأرض وإسكانهم فيها! وهذا ما عبرت عنه مقولة" إرنست

---

(١) فضح التلمود؛ ص ١٤٦.

obeikandi.com

رينان" Ernest Renan يوم ٢٣ / ٢ / ١٨٦٢م في الكوليج دي فرانس: "إن الإسلام – لا اليهودية – هو نقيض أوروبا"[١] وهذا هو ما يفسر عداء الأوروبيين له!

عقيدة رفع المسيح

لكن في الإسلام تقديرا عظيما للمسيح عليه السلام، وفي العقيدة الإسلامية يقين بأن المسيح عليه السلام قد توفي، وقد رفعه الله إليه. فيقول القرآن ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [آل عمران: ٥٥] ويقول أيضا ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]

فالعقيدة الإسلامية مختلفة عن العقيدة المسيحية، وتؤكد دراسة موريس بوكاي صحة العقيدة الإسلامية، وخطأ العقيدة المسيحية بعد أن درس المسألة في المصادر الإنجيلية جيداً. والمبادئ العامة الحاكمة للحياة البشرية تؤكد صحة العقيدة الإسلامية، فالموت قدر الإنسان بحسب قول الله تعالى ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ [الرحمن: ٢٦] وقوله تعالى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [القصص: ٨٨] والواقع البشري هو الشاهد الصادق الذي لا يمكن تكذيبه، فالموت هو النهاية المحتومة لكل كائن حي، والمسيح كان بشراً يأكل ويشرب ويتعب وينام ويستيقظ، ويسعد ويحزن، كسائر البشر، وكسائر الأنبياء، لكنه كان نبيًّا يوحى إليه، فالموت عليه حق، وقد مات ورفعه الله إليه.

الملاحدة والأديان

وانقطعت صلة الأديان – في العصر الحديث – انقطاعًا تامًّا عن الفئات التي

---

(١) الدكتور مراد هوفمان؛ ديانة في صعود؛ ص ١٢ .

obeikandl.com

تورطت في الإلحاد، وهي كثيرة، فالإحصاءات تبين أن ٤٧٪ من الألمان لا دينيين، ٩٪ ملحدين، وأن ٩٪ مؤمنين، و٣٢٪ من البروتستانت يؤمنون بـ"قوة عليا"؛ ٣١٪ منهم يؤمنون بالله بالصورة الكنسية؛ وأن ربع الألمان بلا مذهب ديني؛ وأن ٣٩٪ فقط ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية، وعلى ذلك قالت مجلة دير شبيجل في عددها الصادر يوم ١٥/٦/١٩٩٢: **"إن ألمانيا قد تحولت إلى بلد كافر به بقايا مسيحية"[١] والأوضاع في دول الغرب شبيهة بأوضاع ألمانيا إلى حد كبير.**

وهؤلاء الملاحدة هم الذين يهاجمون الأديان السماوية والأنبياء، وبخاصة النبي محمدا ﷺ، والبقية الباقية المؤمنة بالمسيحية تدافع عن دينها ضدهم، ومنها قادة كبار يدافعون عن الإسلام وعن النبي محمد، ويتصلون بالمسلمين ويعقدون معهم المؤتمرات التي تسعى إلى إقامة علاقات طيبة بين المسيحيين والمسلمين.

وبعد فإن على كل مؤمن في الشرق والغرب أن يؤيد حوار الأديان (شريطة أن يجري بجدية) وما يسفر عنه من تعارف وتعاون وتوثيق للصلات بين الأديان السماوية ونبذ للحروب والكراهية والإساءات المتبادلة، وعلى المسلمين والمسيحيين أن يتصدوا للمادية والإلحاد وأدعياء صراع الحضارات.

* * *

(١) الدكتور مراد هوفمان؛ الإسلام في الألفية الثالثة؛ ص ٢٤.

obeikandl.com

ثالثا: في الشرائع

مقارنات مفيدة

محاكمة الحيوانات؟

تنص التوراة على أنه: "**إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة، فمات (الرجل) يُرجَم الثور حتى الموت، ولا تأكلون لحمه، ويكون صاحب الثور بريئًا**، أما إذا كان الثور نطَّاحًا من قبل، وسبق إنذار صاحبه فلم يكبحْه، فقتل رجلا أو امرأة، **يُرجم الثور، ويقتل صاحبه**، إلا إذا طُولب بدفع الدِّية، فيدفع آنئذ فداء نفسه ما هو متوجب عليه"(١).

هذه إحدى الشرائع اللامعقولة في التوراة، وهي لا تحتاج شرحًا، وأما الإسلام فقد أرسى المسئولية على العقل، والثور لا عقل له، فمن السذاجة معاقبته، وكما قال رسولنا الكريم ﷺ: "جناية العجماء جبار"(٢) ومالك الحيوان مسئول عن ضبطه وحماية الناس من خطره، وهو الذي يحاكم ويؤاخذ بشروط خاصة، لكن لا يمكن أن يقتل.

فهذا هو أول الاختلافات بين الشريعة اليهودية والشريعة الإسلامية.

عقوبة القتل.. إسراف في القسوة

يقول الله تعالى ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٥].

---

(١) الخروج؛ ٢١، ١٥

(٢) مسلم؛ ١١ / ٢٢٦.

وفي التوراة: "من ضرب إنسانًا وقتله فالضارب حتمًا يموت"[1] **فالإسلام واليهودية متفقان في أن القاتل يقتل.**

وتقول التوراة: "كل من يضرب أباه أو أمه يقتل"[2] وفي هذا تختلف الشريعة الإسلامية مع الشريعة التوراتية. إن الإسلام يؤكد أن للأم والأب مكانة سامية، ويوجب على الأولاد احترامهما، فيقول جل جلاله ﴿**فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]

لكن عقوبة القتل على ضرب الأم أو الأب لا يمكن أن تكون عادلة، ولا أظن أن الأمهات يمكن أن يرضين بتطبيقها على أولادهن، وهي تتعارض مع المبدأ العام، أعني: القتل للقاتل، أو القصاص. ولا يتبنى قتل الولد أي قانون معاصر، لا عند اليهود ولا عند غيرهم، والقاعدة العامة هي: التناسب بين الجرم والعقوبة، وهذا التناسب مفقود كلية في هذه الشريعة التوراتية.

وتحكم التوراة بالقتل على كل من ضاجع بهيمة[3].

ويجب أن يوجه الاعتراض إلى هذه العقوبة، فمن المؤكد أن ذلك الفعل مشين جدًّا، وفي الإسلام أحكام متنوعة لعقاب الزناة: فالزاني المحصن يرجم، بعد التأكد من وقوع الفعل كاملاً. والزاني غير المحصن عقوبته الجلد يقول الله تعالى ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ [النور: ٢] وحكم اللواط هو حكم الزنا على الأرجح.

في ضوء هذه الشريعة القرآنية **لا يمكن قبول العقوبة التوراتية، لما فيها من قسوة وإفراط.**

---

(١) الخروج؛ ٢١ - (١٢) ص ٩٩.
(٢) نفسه؛ ٢١ - (١٦) ص ٩٩.
(٣) الخروج؛ ٢٢ (رقم ١٩).

obeikandl.com

والمسألة مختلف فيها عند المسلمين، والأرجح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: "من أتى بهيمة فلا حد عليه"(١) لكنه يعاقب بعقوبة تعزيرية.

وتقضي التوراة بالقتل على الساحرة (٢) وهو الحكم ذاته الذي قضَى به رسول الله ﷺ: "حد الساحر ضربه بالسيف"(٣).

وفي التوراة **بعض التشريعات الإنسانية التي تتسم بالرحمة**، كالنهي القائل: لا تضطهد غريباً ولا تضايقه، ولا تسئ إلى أرملة أو يتيم، وكذلك النهي عن أخذ فائدة على قرض الفقير، "إن أَقْرَضْتَ فقيراً من شعبي"(٤) **وتلاحظ في النص نزعة عنصرية**، لأنه يقصر القاعدة على الشعب اليهودي، والعنصرية تفسد فضائل الأخلاق!

وفي هذه المجموعة من القواعد التوراتية **تحريم أكل فريسة الصحراء**، وتقول: "بل اطرحوه طعاما للكلاب"(٥) وهذا التحريم ليس واضحًا، ولكنه **غير معقول لبناء التحريم على مكان الفريسة**! وهذا ليس مسوغا معقولاً!

- **قتل الأسرى نساءً وأطفالاً**

ومن أبشع شرائع التوراة التي تفسر لنا مذابح الكيان الصهيوني اليوم أوامر موسى عليه السلام بقتل الأسرى!

قال موسى لقادة الجيش القادمين من الحرب: "لماذا استحييتم النساء"؟... **"فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضًا كل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً"**(٦).

فهذه مجزرة بشرية رهيبة يأمر بها النبي موسى عليه السلام، ونحن كمسلمين لا نستطيع أن نصدق أن أحد الأنبياء العظام يمكن أن يأمر بقتل الأطفال والنساء.

---

(١) الشوكاني؛ ٧ / ١١٨.
(٢) الخروج؛ ٢٢ (رقم ١٨).
(٣) الشوكاني؛ نفسه؛ ٧ / ١٧٦.
(٤) الخروج؛ ٢٢ - (رقم ٢٥)
(٥) الخروج؛ ٢٢ - (رقم ٣١).
(٦) العدد؛ ٣١ - ١٥، ١٧.

obeikandl.com

وصورة موسى في القرآن صورة نبي عظيم، ندم لأنه قتل رجلاً دون قصد، اي قتل خطأ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٦، ١٧] وأين هذه الشريعة الهمجية الدموية من شرائع الحرب السامية في رسالة محمد ﷺ؟

يقول ابن رشد إن النبي ﷺ نَهَى عن قتل النساء والولدان، وقال في امرأة مقتولة: "ما كانت هذه لتقاتل"(١) وكان عليه الصلاة والسلام إذا بعث جيشًا قال: "لا تقتلوا أصحاب الصوامع، ويترك لهم من أموالهم بِقَدْر ما يعيشون به، كذلك لا يقتل الشيخ الفاني"(٢).

فعلاقة الرسالة المحمدية برسالة موسى – حَسْبَ مزاعم التوراة – علاقة تضاد وتنافي، علاقة الرحمة والرأفة بالعدو المحارب، **باستباحة دماء النساء والأطفال الذين لم يقاتلوا** وليس لهم في الحرب ناقة ولا جمل!

الشريعة المسيحية وتحريم الطلاق

وينسب إلى المسيح قولُه: "فالذي جمعه الله لا يفرقُه إنسان". يعني هو يحرم الطلاق الذي كان مباحًا في الشريعة اليهودية، وقال لهم المسيح: "**من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طَلَّقت امرأة زوجَها وتزوجت بآخر تزني**"(٣) ولم يطبق المسيح عقوبة رَجْم الزانية كما تقضي شريعة موسى، وقال للزانية: "اذهبي ولا تخطئي أيضا"(٤).

هذه الشريعة **تخالف الشريعة الإسلامية التي تبيح الطلاق؛ والزواج فيها**

---

(١) فتح الباري؛ كتاب الجهاد؛ ١٤٧ باب قتل الصبيان في الحرب؛ رقم ٣٠١٥ (٦/ ١٤٨).
(٢) ابن رشد؛ بداية المجتهد؛ ٢ / ٥٢٢ – ٥٢٥، ٥٢٧.
(٣) إنجيل مرقس؛ ١٠/ ٩ – ١٢، وكذلك لوقا؛ ١٦/ ١٨.
(٤) يوحنا؛ ٨/ ١٠ – ١١.

بشريعة الله، وكذلك الطلاق، وقد ثبت اليوم أن شريعة الإنجيل لا تستوعب ظروف البشر، ولذلك تركها معظم المسيحيين، وأحلوا محلها الزواج المدني، بل استباحوا المحرمات أو ما يسمى "إباحة الاستباحة"![1] وتسببت في عدة كوارث منها: الإعراض عن الزواج وكثرة أبناء السفاح، وتفشي الجريمة، والانكماش السكاني.

الشريعة الإسلامية تخالف الشرائع السابقة

فمن الجلي أن عقيدة التوحيد هي هي في كل الرسالات السماوية قبل التحريف، لكن الشريعة الإسلامية تختلف عن الشرائع في الرسالات السابقة، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ... **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾ [المائدة: ٤٨] وقال القرطبي: "فالأصل التوحيد لا اختلاف فيه"[2] أما في العبادات والشرائع فقد تميزت الرسالات السماوية بعضها من بعض. **ونسخ الإسلام كثيراً مما ورد في الإنجيل والتوراة**، وقد رأينا فيما سبق نماذج عديدة، ورأينا أن شرائع الإسلام أعدل مما نسخته، ولذلك يؤيدها العقل المنطقي والضمير الأخلاقي وهي لا تستعصي على التطبيق، فإذا طبقت ارتقت بها الحياة، وسعدت بها المجتمعات البشرية.

الأخـــلاق

والقيم الأخلاقية هي هي لدى جميع الأمم، مثل جدول الضرب، وكما يخطئ البعض في جدول الضرب **تخطئ بعض الأمم في فهم مبادئ الأخلاق**.

ففي الرسالة المحمدية – على سبيل المثال – مكان رفيع لفضيلة العفو، وقد أورد إنجيل لوقا صورةً للعفو تختلف عن الصورة الإسلامية، فقد نُسِبَ إلى المسيح

---

(1) Out of Control; p 64

(٢) القرطبي؛ الجامع؛ تفسير الآية ٤٨ من سورة المائدة.

obeikandl.com

قولهُ: "احذروا لأنفسكم ، وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه، وإن تاب فاغفر له، وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب فاغفر له"(١).

لكن الرسالة المحمدية لا تقر بهذا المفهوم الخيالي للعفو، لأنه غير ممكن تطبيقه في أي مكان في العالم.

في الإسلام يؤخذ في الاعتبار **أربعة معايير للعفو: لأن الإساءات التي يطلب العفو عنها أنواع:**

(أ) صغائر وكبائر.

(ب) وهي تقترف خطأً أو عمداً.

(ج) تتكرر أو لا تتكرر.

(د) والأمل في الإصلاح قد يلُوح وقد يفتقد.

فالإساءة اليسيرة غير المقصودة، التي ترتكب ضدنا لأول مرة، يندب العفو عنها، خاصةً إذا لاح لنا الأمل أنه سيُصلح من سلوك المسيئ، وعلى النقيض من هذا الإساءة الكبيرة، المتعمدة، المتكررة، لا يجوز العفو عنها، لأن العفو في هذه الحالة سيشجع على التمادي، والواجب تطبيق شريعة: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وبين هذين الطرفين حالات متوسطة عديدة، تحتاج كل منها إلى نظر وتقدير، وهذه هي الأخلاق الممكنة والمطبقة بين المسلمين.

وفي هذا الفصل من الدراسة رأينا أهم ما كان معروفا للجاهليين في التوراة والأناجيل، وهي نفسها التي بين أيدينا اليوم، في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وقارناها بما جاء به محمد ﷺ، **ولقد ظهر بوضوح أن صلة الرسالة المحمدية**

---

(١) إنجيل لوقا؛ ١٧، ٣-٤.

obeikandl.com

بالرسالات السابقة عليها هي صلة التصحيح والتقويم، والفرز الدقيق، ونبذ الخرافات والأخطاء والانحرافات والتحريفات، وتوكيد الحقائق وتطهيرها مما علق بها من أدران.

وبهذه الدراسة التحليلية المفصَّلة لعلنا نستطيع أن نقدِّر عظمة الرسالة المحمدية وفضلها على الحياة الروحية للبشرية.

وهي تختلف عن الدراسات العامة التي لا تتغلغل في التفاصيل كما جاءت في التوراة والأناجيل، وكما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

هل ورقة بن نوفل أملى هذه العقائد والشرائع والأخلاقيات على محمد؟

وهنا يبرز السؤال الكبير: من أين جاء محمد بالتصحيحات والتقويمات الهائلة التي ميزت الإسلام عن الرسالات السابقة؟

الجواب الأول: يقول إن محمداً نقل القرآن عن المسيحيين الذين لقيهم بمكة.

والجواب الثاني: نجده عند المستشرقين الغربيين المحدثين، وهو لا يختلف كثيراً في جوهره عن الجواب الأول.

ولقد سبق أن ذكرت أن الغربيين يرون غالبا أن محمداً ليس بنبي، وإنما هو دعي، ألف القرآن مستفيداً من التوراة والإنجيل. ونريد هنا أن نعرف من الذي علمه اليهودية والمسيحية، وما العقائد والشرائع التي نقلها عنهم؟

فنقول إن ابن هشام صاحب السيرة ذكر أن أربعة نفر من الجاهليين كانوا مؤمنين بالمسيحية، وهم مكّيون، فهل أحدهم علَّم محمداً النصرانية؟ أولئك الأربعة هم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحُوَيْرث، وزيد بن عمرو بن نفيل. وقد أنكروا على قريش عبادة الأصنام، وحاولوا الدعوة للمسيحية سرًّا، خشية بطش قريش، لكنهم لم ينجزوا شيئًا، ولم يثبتوا على المسيحية، بل تفرقوا في البلدان

obeikandl.com

يبحثون عن "الحنيفية" دين إبراهيم، وبقي ورقة بن نوفل فقط في مكة، ثابتًا على المسيحية، وحصل علمًا بها[١].

وكان ورقة يعرف العبرية [٢]، ومن ثم يكون هو المرشح لأن يكون المعلم الذي علم المسيحية لمحمد، وهو الذي صفَّاها من الأدران والانحرافات العقدية والتشريعية والأخلاقية.

أما عبيد الله بن جحش فقد أسلم وآمن بنبوة محمد، ثم هاجر إلى الحبشة، وهناك ارتد عن الإسلام، وعاد إلى النصرانية.

وأما عثمان بن الحويرث فقد سافر إلى بلاد الروم وتنصّر، وقابل القيصر الذي نَصّبه ملكًا على مكة، وعاد "الملك" النصراني إلى مملكته – مكة، فلم يعترف به أحد، فتركها إلى الشام ومات هناك [٣].

والرابع هو زيد بن عمرو بن نفيل الذى لم يتنصر ولم يتهود، لكنه فارق دين قومه "فاعتزل الأوثان والميتة والدم..."[٤] ويذكر أنه لقي الرسول ﷺ مرة.

من هذا العرض السريع لمعتنقي المسيحية في مكة، من الجائز أن نقول إن ورقة ابن نوفل هو الذي علّم محمداً الديانة المسيحية، لأنه الوحيد الذي بقي بمكة.

ولكن أمام هذا الاحتمال صعوبات عديدة تنفيه:

كيف يُعقل أن يأتي محمد بالآيات ويقول إنها من عند الله في حين أنها من إملاء ورقة، ويسكت ورقة ولا يكذبه؟ لماذا لم يخبر خديجة أن زوجها كاذب وأنه هو الذي أَمْلَى عليه القرآن؟

---

(١) سيرة ابن هشام؛ ١ / ٢٠٤، ٢٠٥.
(٢) فتح الباري؛ باب – كيف كان بدء الوحي –.
(٣) سيرة ابن هشام؛ ١ / ٢٠٥.
(٤) نفسه؛ ١ / ٢٠٦.

وهل يمكن أن يظل محمد يتلقى التعليم من ورقة طوال ثلاثة عشر عامًا دون علم خديجة، ودون أن يشعر بذلك أحد من أعداء محمد؟ إن أعداء محمد كانوا كثيرين، ويهمهم كشف حقيقة علاقته بورقة، فكيف عجزوا عن كشف الحقيقة طوال تلك السنين ؟

وبعد الهجرة، هل كان ورقة يملي على محمد الآيات وهو قابع في بيته بمكة؟

ولماذا لم يعلن ورقة أنه هو مخترع القرآن وأنه هو الجدير بمنصب النبوة؟

صفوة القول إذن إن ورقة لم يعلِّم محمداً حرفًا واحداً من القرآن.

وسوف نرى أنه لا صلة للقرآن والإسلام بما كان يعرفه "ورقة"(١) وأن ما عرضناه من عقائد وشرائع وأخلاقيات هي من وَحْي الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، ولم يكن ورقة ولا غيره يملك معرفة دقيقة بالمسيحية، فيذكر الدكتور محمد عبد الله دراز ما قاله إسحاق تايلور في كتابه: "المسيحية القديمة"، المجلد الأول صفحة ٢٦٦: "أن ما قابله محمد ﷺ وأتباعه، في كل اتجاه، لم يكن إلا خرافات منفرة، ووثنية منحطة ومخجلة، ومذاهب كنسية مغرورة، وطقوساً دينية منحلة وصبيانية، بحيث شعر العرب، ذوو العقول النيرة، بأنهم رُسل من قِبل الله، مكلفون بإصلاح ما ألمَّ بالعالم من فساد..."(٢) وينقل الدكتور دراز عن "موشايم "Mosheim قوله: "إن المسيحية الحقيقية في القرن السّابع – زمن مبعث رسول الله ﷺ: كانت مدفونة تحت أكوام من الخرافات والأوهام السخيفة، حتى أنه لم يكن في مقدورها أن ترفع رأسها"(٣).

ثم يتساءل الدكتور دراز قائلاً: "إذا كان في مكة مسيحيون أخذ عنهم محمد،

---

(١) الوحي المحمدي؛ ص ٩٦ ، ٩٧ .
(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز؛ مدخل إلى القرآن الكريم؛ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٣) نفسه؛ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

فلماذا لم يفعل أعداؤه الشيء نفسه؟ لماذا سافروا إلى المدينة يطلبون من اليهود شيئًا يواجهون به محمدًا"؟ ثم يجمل الدكتور دراز وصف المجتمع المكي عند بعثة محمد فيقول: "هذا إذن هو المشهد الحي الذي يمتد أمام نظر المشاهد: فحيثما اتجه وجد ضلالاً يحتاج إلى الهداية، وانحرافًا يتطلب التقويم، ولن يجد أبدًا نموذجًا أخلاقيًّا ودينيًّا يصلح لأن ينقله محمد، أو يبني عليه نظامه الإصلاحي، فلا شك أن المواد التي صادفها حتى الآن قد تجمعت في بناء يصلح للهدم، ولم يكن فيها ما يصلح ليقيم عليه بناءه الجديد"(١).

فكيف استطاع محمد أن يتجنب كل ذلك الضلال والانحراف؟!

ويقول محمود عباس العقاد: "جائز أن يكون صاحب الرسالة ﷺ قد عرف في صباه كل دين من أديان الجزيرة العربية، ولكنه ليس بالجائز أن تُعَلِّمه كيف ينكر أخطاءها، ويقوِّم التواءها، ويرتقي بها من أوشاب الشرك إلى صفاء التوحيد"(٢).

ويقول موريس بوكاي في رده على الذين يتهمون محمدًا بالنقل عن التوراة: "لو كان ذلك حقًّا لتساءلنا: مَنْ الذي دفعه، أو ما الحجة التي أقنعته بالعدول عن نقل التوراة فيما يتعلق بأسلاف المسيح، وبإدخال تصحيح في القرآن يضع نصه بعيدًا عن كل مرْمًى نقدي تثيره المعارف الحديثة، على حين أن نصوص الأناجيل والعهد القديم غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه؟"(٣).

ولقد صور القرآن الكريم جميع الأنبياء في صورة لائقة بالنبوة وجلالها، في حين أن التوراة صورتهم في صورة مهينة، وقد رأينا هذه الحقيقة فيما سبق.

والمدهش أن اليهود كانوا قد دخلوا في حرب مع محمد في المدينة وفي خيبر،

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز؛ مدخل إلى القرآن الكريم؛ ص ١٤٠.
(٢) مطلع النور؛ ص ١٤٩ - والأوشاب هي الأخلاط.
(٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم؛ ص ٢٤٢.

obeikandl.com

ولو كان هو الذي يؤلف القرآن لوضع فيه صورة قبيحة لأنبياء بني إسرائيل، ولكن هذا لم يحدث، فدل على أن القرآن ليس من تأليف محمد.

محاولات المستشرقين في العصر الحديث

وحاول المستشرقون إثبات أن القرآن مأخوذ من التوراة والإنجيل توسلاً ببحوث لغوية. من ذلك- مثلا - قولهم إن كلمة "فرقان" أصلها عبرى. وبعد دراسة دقيقة للكلمة، قرر الدكتور عبد الرحمن بدوي أن زعمهم: "أن كلمة فرقان تعني "البيركة" عندهم، حماقة نادرة وهوس مرضي جعلهم يتخيلون أنها جاءت من العبرية أو اليهودية"(١).

ويعلق الدكتور بدوي على مزاعم المستشرقين النصارى بأن كلمة فرقان هي الشكل العربي للكلمة السريانية "فرقانة" فيقول إنه تفسير عابث، ويفسرها الدكتور بدوي بمعنى التفرقة بين الخير والشر والحلال والحرام (٢).

وحاول مرجيليوث أن يثبت أن النبي ﷺ نقل **الأطعمة المحرمة من شريعة موسى**. وبعد بحث دقيق أثبت الدكتور بدوي أن قائمة الأطعمة المحرمة في الإسلام: "تختلف عن تلك المحرمة عند النصارى أو بالأحرى التي حرمها موسى وهي الجمل والأرنب وكل ذي ظفر والسمك بدون قشر بينما يعتبرها الإسلام حلالاً"(٣).

وتناول الدكتور بدوي مزاعم أخْرى في محاولات يائسة للمستشرقين اليهود والنصارى لإثبات اقتباس النبي ﷺ من التوراة والإنجيل، وكانت غايتهم النهائية إثبات أنه ليس نبيًّا بل مجرد مدع للنبوة، وأظهر بدوي بقوة واقتدار أنهم مبطلون، وأن محمداً ينتصر عليهم بالقرآن دائماً (٤).

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه؛ ص ٦٢.
(٢) نفسه؛ ص ٦٤. (٣) نفسه؛ ص ٧٢ (٤) نفسه؛ ص ١٦

وحاول " "Gibb إثبات أن اليهودية والمسيحية هما مصدر القرآن، استناداً إلى بعض الألفاظ، وإلى قبول الإسلام لعقيدة التوحيد واعترافه بالأنبياء السابقين، وهذه تماحيك لا تجيب على السؤال الكبير: لماذا لم ينقل محمد خرافاتهما؟! (١).

فإذا كان محمد قد نقل عن التوراة والإنجيل، فلماذا لم ينقل ما ورد فيهما من أخطاء وخرافات، مثل قصة شمشون، وقوته، وشعره؟! ولِمَ تنزه القرآن عن العقائد الخاطئة، مثل صلب المسيح والتثليث، ومصارعة الله بعض الأنبياء، وتصوير الله كشخص يفتقر إلى التروي فيما يفعل، حتى ندم على أعماله، كأنه لم يكن يعلم شيئًا من عواقب الأمور! (٢).

ثم إن النقل عن اليهود والنصارى لابد أن يتم بإحدى هذه الطرق:

فإما القراءة،

وإما التلقي من معلم.

وأمية الرسول تستبعد أن يكون قد قرأ التوراة أو الإنجيل، بلغة غير العربية، لأن أول ترجمة لهما وُضعت بعد عصر محمد بزمان طويل، وقد وصف القرآن محمداً بأنه نبي أمّي فقال ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وحياة محمد كلها تشهد على أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولذلك استخدم عدداً من أصحابه لكتابة ما يمليه الوحي عليه من آيات القرآن، وقد كان من اليسير على رجل مثل محمد أن يتعلم القراءة والكتابة، لكن إرادة الله صرفته عن ذلك دفعًا لارتياب المبطلين، وما أكثرهم في القديم والحديث! وقد حاول بعض الغربيين أن يثبت أن محمداً كان يقرأ ويكتب، لكنه فشل، لاستناده إلى خبر يقول إن

---

(1) H. A. R. Gibb; Islam; Oxford University; pp 24-27 1978' press.

(٢) الدكتور محمد توفيق صدقي؛ الدين في نظر العقل الصحيح؛ مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٦ هـ.

obeikandl.com

النبي أمسك القلم الذي كان علي بن أبي طالب يكتب به شروط صلح الحديبية وشطب على عبارة (محمد رسول الله) التي اعترض عليها مندوب قريش سُهيل ابن عمرو، لأن عليًّا رفض شطبها بيده، فمعرفة محمد برسم اسمه لا تثبت أنه يعرف القراءة والكتابة، وأغلب الأميين يعرفون رسم أسمائهم، بل يوقعون بكتابتها على الوثائق، وقد كانت عبارة (محمد رسول الله) آخر عبارة كتبها علي، ومن اليسير التعرف عليها دون معرفة بالقراءة والكتابة، ومع ذلك سأل النبي عليًّا عن مكانها[١].

ولم يرد خبر شطب العبارة في سيرة ابن هشام التي أوردت أدق التفاصيل عن تلك الوثيقة [٢] وورد في صحيح مسلم أن النبي طلب من علي أن يريه مكان العبارة، "فأراه مكانها فمحاها"[٣] فلا دليل في الخبر على أن محمدًا كان يقرأ ويكتب.

وربما زعم بعضهم أن أول كلمة نزلت من القرآن هي ﴿ اقْرأْ ﴾ [العلق: ١] **فلابد أن يكون محمد قادراً على القراءة لاستقبال الوحي**. إن هذا زعم خاطئ لأن ﴿ اقْرأْ ﴾ لم تكن تعني القراءة من نص مكتوب على ورقة أو قرطاس أو لوح، بل كانت تطلب من محمد أن يردد كلام جبريل ويتعلمه شفاهة، ويحفظه، وهذا هو ما كان يحدث دائمًا، ولم يُذكر قط أن جبريل جاء بقرطاس أو لوح وسلمه لمحمد! ويشهد على صحة هذا عشرات من أهل بيت محمد وأصحابه الذين كانوا يحضرون حالة نزول جبريل، وقد تكرر ذلك أمام أعينهم عشرات المرات.

ومن المؤسف أن بعض المفسرين فهم ﴿ اقْرأْ ﴾ خطأ على أنها تطلب القراءة من لوح أو قرطاس، وبسبب ذلك واجهوا صعوبات عديدة لتفسيرها مع توكيد أمية الرسول، وذلك يثبت خطأ ذلك التفسير.

---

(١) مسلم؛ ١٢ / ١٣٧ .
(٢) سيرة ابن هشام؛ القسم الثاني؛ ص ٣١٧ .
(٣) صحيح مسلم؛ كتاب الجهاد والسير ؛ باب صلح الحديبية.

التلقي من معلم

والطريقة الثانية التي زعموا أن محمداً نقل بها القرآن عن التوراة والإنجيل، هي التلقي من معلم.

لكن سيرة محمد تخلو من ذكر أي معلم، بمعنى أنه كان يتردد عليه بانتظام لتلقي الدروس، وحتى بَحِيرَى الراهب الذي قيل إنه لقيه في رحلته مع عمه إلى الشام، لم يذكر أنه علمه شيئًا، بل كان اللقاء عابراً مع أبي طالب، الرجل الناضج الرشيد، ولم يكن مع محمد الغلام الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وتحدث "بحيرى" إلى أبي طالب، ونصحه بأن يبعده عن يهود الشام الذين يمكن أن يؤذوه إذا رأوا فيه أمارات النبوة مثلما رآها هو استناداً إلى أنباء وردت في كتب النصارى[1].

وأين تلك الأنباء في كتب النصارى؟ إنها دعاوى لا وجود لها!

فمن المستحيل – إذن – أن يكون محمد قد نقل عن "بحيرى" عناصر إنجيلية مسيحية، وألَّف منها القرآن.

والقصة كلها بادية الزيف، ولا تتميز كثيراً عن حكايات ألف ليلة وليلة، ولهذا لم يعرفها أعداء محمد في حياته، وإنما أذاعوها بعد وفاته بعقود عديدة.

وهل يعقل أن يدفع أبو طالب بابن أخيه الصغير إلى راهب نصراني ليتفحصه؟ وماذا يتفحص فيه؟ هل كان أبو طالب متشككًا في كون ابن أخيه حاملاً أمارات النبوة؟

لم يذكر أي خبر قط أن أبا طالب رأى في ابن أخيه أية أمارات للنبوة! بل إنه رفض الإسلام حين دعاه محمد إلى الإيمان به، ولو أنه سمع حقا "بحيرى" يشهد بوجود أمارات النبوة لدى محمد، لسارع إلى الإيمان به، وفي كلامه مع المشركين الذين اشتكوا إليه محمداً، لم يذكر أبو طالب كلمة واحدة عن تلك الأمارات[2].

وهكذا تنهار فرضية "المعلم"! كما انهارت فرضية "القراءة" من قبل، لكي تبرز حقيقة الوحي الإلهي الكريم.

---

(١) سيرة ابن هشام؛ ١ / ١٨٠، ٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) الدكتور محمد حسين هيكل؛ حياة محمد؛ ص ١١٤، ١١٥.